@Antelias.Diocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الثامن من زمن العنصرة

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.)

(سفر أشعيا: ٤٢ / ١ - ٨)

١ هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي رَضِيَت عنه نَفْسِي قد جَعَلتُ روحي عليه فهو يُبدي الحقَّ للأُمَم.

٢ لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ صَوتَه وَلاَ يُسْمِعُ صَوتَه في الشَّوارع.

٣ القَصَبَةُ المَرْضوضةُ لن يَكسِرَها والفَتيلةُ المُدَخِّنَةُ لن يُطفِئَها يُبْدي الحَقَّ بأمانَة.

٤ لا يَني ولا يَنثَني إلى أن يُحِلَّ الحَقَّ في الأرض فلِشَريعَتِه تَنتَظِرُ الجُزُر.

٥ هكذا قالَ اللّهُ الرَّبُّ خالِقُ السَّموات وناشِرُها باسِطُ الأرضِ مع ما يَنبُتُ منها الّذي يُعطي الشَّعبَ عليها نَسَمَةً والسَّائرينَ فيها روحًا:

٦ "أنا الرَّبَّ دَعَوْتُكَ في البِرّ وأخَذتُ بِيَدِكَ وجَبَلتُكَ وجَعَلتُكَ عهدًا لِلشَّعبِ ونورًا لِلأُمَم

٧ لِكَي تَفتَحَ العُيونَ العَمْياء وتُخرِجَ الأَسيرَ مِنَ السِّجْن والجالِسينَ في الظُّلمَةِ مِن بَيتِ الحَبْس".

٨ أنا الرَّبُّ وهذا اسْمي ولا أُعْطي لِآخَرَ مَجْدي ولا لِلمَنْحوتاتِ حَمدي.

مقدّمة

تُقَدِّمُ لَنا كَنيسَتُنا المرجَعَ لِقَولِ أَشَعيا النَّبيّ في إنجيلِ متّى ١٢ / ١٨ - ٢١. فَتختارُ النَّشيدَ الأَوَّلَ لِعَبدِ الرَّب، وَهوَ الَّذي تَحَقَّقَ في الرَّبِّ يَسوعَ المُرسَلَ لِخلاصِ البَشَرِ، بِقوَّةِ الرُّوحِ لا بِالسِّلاحِ وَالحَربِ، بِالوَداعَةِ لا بِالقَساوَةِ وَالتَّهديدِ. في نَصِّنا اليَوم، تَظهَرُ روحانِيَّةُ الرَّسولِ، الخاضِعِ لإلهاماتِ الرُّوحِ وَالمُختارِ مِنَ الرَّبِّ، رَغمَ جَهلِهِ لِلرَّبِّ وَتاريخِ خَلاصِهِ لِشَعبِهِ. يُطَبَّقُ نَصُّ أَشَعيا أَيضًا، على بولُسَ الرَّسولِ، الَّذي اخْتيرَ من بينِ شَعبِ الشَّريعَةِ لِيَكونَ رَسولاً وَإناءً مُختارًا لِلرَّبِّ يَسوعَ.

إنَّ الزَّمَنَ الَّذي كُتِبَ فيهِ سِفرُ أَشَعيا الثَّاني هوَ زَمنٌ انتِشَرَت فيهِ عِبادَةُ الأَوثانِ. وَإسرائيلُ العائِدُ من سِبي السَّبي وَالجَلاءِ عَن أَرضِهِ، كانَ يَعيشُ في وَسَطِ الغُرَباءِ لِأَنَّ الأُمَمَ اسْتَوطَنُوا في أَرضِ يَهُوذا، فَتَأَثَّرَ بِعاداتِهِم الوَثَنِيَّةِ. فَتَرَكَ إسرائيلُ الرَّبَّ وَنَسِيَ العَهدَ، وَالأَحداثَ الَّتي، لَو مِنْ تَدَخُّلِ الرَّبِّ وَعِنايَتِهِ وَرَحمَتِهِ بِشَعبِهِ، لَكانَ قُضِيَ عَليهِ نِهائِيًّا.

إنَّ نَشيدَ أَشَعيا يَأتي بَعْدَ حُكْمِ الرَّبِّ عَلى المَنحوتاتِ وَعَلى الَّذينَ يَعْبُدونَها، فَهُم مَخْدوعونَ بِها، إذ لا تَتكلَّم وَلا تَعْمَل أَيَّ عَمَلٍ وَلا تُساوي شَيئًا (راجِع أش ٤١ / ٢١ - ٢٤).

فَيُظهِرَ أَشَعيا من خِلالِ نَشيدِهِ، صِفاتَ عَبْدِ الرَّبِ الَّذي، بِالرَّغمِ من أَنَّهُ وَثَنِيٌّ، وَهوَ قورُش مَلكُ الفُرسِ، "سَمِعَ" الرَّبَ الإِلَه وَ"عَمِلَ" بِكَلِمَتِهِ وَ"أَطَاعَ" تَعاليمَهُ.

١ هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي رَضِيَت عنه نَفْسِي قد جَعَلتُ روحي عليه فهو يُبدي الحقَّ للأُمَمِ.

في أَوَّلِ النَّشيدِ، يُعَرِّفُ الرَّبُ عَن رَسُولِهِ، وَاصِفًا إِيَّاهُ بِالعَبْدِ الَّذي يَعضُدُهُ وَبِالمُختارِ المَرضيّ وَبِناشِرِ البِرِّ وَالعَدْلِ بينَ الأُمَمِ. هَذا العَبْدُ يَرتَبِطُ بِالرَّب، "عَبْدي" أَي مُطيعٌ لِوصايا الرَّبِ وَهوَ وَحدَهُ مرجَعِيَّتُهُ في رِسالَتِهِ. إِنَّهُ "المُختارُ" وَالمَرضِيُّ منَ الرَّب وَقَدْ حَلَّ عَليهِ الرّوحُ فَكرَّسَهُ وَفَرَزَهُ من بَينِ الشَّعبِ. نُلاحِظُ أَنَّ هَذهِ الصِّفات خَاصَّةٌ بِهذا العَبْدِ بِالذَّات، بِعِبارَةٍ واحِدَة، إِنَّهُ "مَسيحُ الرَّب". في كِتابِ أَشعيا الثاني، يَتَّفِقُ أَكثَرِيَّةُ الباحِثينَ عَلى أَنَّ العَبْدَ في هذا النَّشيدِ الأَوَّل، هو قُورُش، المَلِكُ الفارِسيُّ نَفْسُهُ، الذي على يَدِهِ أَنْجَزَ الرَّبُ خَلاصَ إِسرائيلَ وَتَحْريرَهُم من عُبودِيَّةِ الشُّعوبِ الغَريبَة.

يَتميَّزُ عَبْدُ الرَّبِ بِأَنَّهُ مُنقادٌ بِحسَبِ روحِ الرَّب، فَيَقضِي بالحقِّ أَو بِالبِرّ. فَكَلمةُ "البِرّ" mišpat تَرِدُ ٢٨ مرَّةً في أَشعيا، وَتَعني أَمانَةُ الرَّبِ في تَحْقيقِ خَلاصِهِ لِشَعبِهِ. فَالمَلِكُ الفارِسيُّ كانَ أَداةَ خَلاصِ الرَّبِ لِشَعبِهِ، وَعَلى يَدِهِ تَحَقَّقَ بِرُّ الرَّب. قالَ الرَّبُ عن قُورُش: "أَنتَ راعِيَّ المُتَمِّمُ كُلَّ ما أَشَاء" (راجع أش ٤٤ / ٢٦ - ٢٨).

تَنطَبِقُ صِفاتُ عَبْدِ الرَّبِ في هذا النَّشيدِ على ربِّنا يسوعَ المسيحِ ابنِ اللّه، كمَا وَرَدَ في إِنجيلِ متى ١٢ / ١٨ - ٢١. وَهوَ الَّذي أَعْلَنَ عَنهُ الآبُ بِصَوتِهِ منَ السَّماءِ: "هَذا هو ابْني الحَبيب الَّذي عنهُ رَضِيت" (متى ٣ / ١٧)، وَهوَ بِقُوَّةِ الرّوحِ دخَلَ المَجمَع وَقرأَ من سِفرِ أَشَعيا النَّبيّ: "روحُ الرَّبِ عليَّ، لأَنَّهُ مَسَحَني لأُبَشِّرَ الفُقَراءَ، وَأَرسَلَني لأُعْلِنَ لِلمَأسورينَ تَخْلِيَةَ سَبيلِهِم .. وَأُفَرِّجَ عَنِ المَظْلومينَ وَأُعْلِنَ سَنةَ رِضًى عِندَ الرَّب" (لو ٤ / ١٨ - ١٩؛ راجع أش ٤٢ / ٧؛ ٦١ / ١ - ٢). يَسوعُ هوَ عَبْدُ الرَّبِ الحَقّ، الَّذي حَقَّقَ إِرادَةَ الرَّبِ وَأَتَمَّ البِرَّ بِصَليبِهِ لِخَلاصِ البَشَرِ أَجمَعينَ، فَصَارَ فيهِ الوثَنيُّونَ وَالمؤْمِنونَ شَعبًا واحِدًا.

٢ لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ صَوتَه وَلاَ يُسْمِعُ صَوتَه في الشَّوارع.

يُقالُ عن قُورُش أَنَّهُ قَدْ تَبَنَّى فِكْرَ الرَّبِ إِلَهِ إِسرائيلَ، فَلَم يَأتي بِالبُوقِ أَمامَهُ وَلا بِالصَّيحَاتِ، بَلْ دَخلَ أُورَشَليمَ واعِدًا إِيَّاها بِأَنَّها سَتُبْنى من جَديد (راجع أش ٤٤/ ٢٦ - ٢٨). وَأَوَّلُ آياتِ سِفرِ عَزرا تَشْهَدُ لِعَمَلِ قورُشَ الخَلاصيِّ، فيَقول: "أَثارَ الرَّبُ روحَ قورُشَ، مَلكِ فارِس، فَأَطلَقَ نِداءً في مَملَكَتِهِ كُلِّها وَكِتاباتٍ أَيضًا قائِلاً: "هكَذا قالَ قورُش، مَلكُ فارس: جَميعَ ممَالِكِ الأَرضِ قد أَعطانيها الرَّب، إِلهُ السَّماوات، وَأَوصاني بِأَن أَبنِيَ لَهُ بيتًا في أُورَشَليمَ الّتي بيَهوذا"" (راجع عز ١ / ١ -٤). وَفي الفَصلِ ٤٥ يُعلِنُ الرَّبُ نَفسُه، هُوِيَّةَ عَبْدِهِ فَيُطلِقَ عَليهِ لَقبَ "مَسيحَ

الرَّب" وَهوَ قورُشَ الَّذي أَخضَعَ الرَّبُ لَهُ الأُمَمَ وَفَتَّحَ أَمامَهُ الأَبوابَ وَمهَّدَ لَهُ الطَّريق: "دَعَوتُكَ بِاسْمِكَ وَلَقَّبْتُكَ وَأَنتَ لَم تَعرِفني" (راجع أش ٤٥ / ١ - ٧).

٣ القَصَبَةُ المَرْضوضةُ لن يَكسِرَها والفَتيلةُ المُدَخِّنَةُ لن يُطفِئَها يُبْدي الحَقَّ بأمانَة.
٤ لا يَني ولا يَنثَني إلى أن يُحِلَّ الحَقَّ في الأرض فلِشَريعَتِه تَنتَظِرُ الجُزُر.
ألصِّفاتُ المجازِيَّةُ عن القَصَبَةِ وَالفَتيلَةِ تَدُلاَّنِ عَلى مَلكَةِ بَابِلَ الَّتي احْتَلَّها الفارِسِيُّونَ سَنة ٥٣٩ ق. م.، من دونِ أَن يُسيئُوا إلى الشَّعبِ: "إِنَّ الَّذي أَحَبَّهُ الرَّبُ (قورُش) هوَ يَقْضي مَشيئَتَهُ على بَابِل" (أش ٤٨ / ١٤ ب). فَبابِلُ هي كالقَصَبةِ الَّتي حَناهَا نيرُ عُبودِيَّتِها وَتعَجْرُفِها على الرَّبِ وَهيَ كَالفَتيلَةِ الَّتي حَبَسَها سِجنُ كِبْريائِها. فَسَقطَت بينَ يَدَي مَلكِ الفُرس. إلاَّ أَنَّ هذا الحَاكِمَ هوَ "عَبْدُ الرَّب"، وَوَسيلَتُهُ هيَ "البِرّ" أي الأَمَانةُ لِلرَّب. لا يَتعَبُ وَلا يَتراجَعُ عَن إحلالِ الخَلاصِ وَالبِرِّ في أَرضِ إسرائيلَ. وَفي التَّاريخِ أَيضًا، أَنَّ قُورُشَ اخْتَبَرَ عُذوبَةَ الرَّبِ وَحِكمَةِ شَريعَتِهِ، وَدَافَعَ عنِ الدِّينَ الحقِّ من دونِ أَن يَعْرِفَ الرَّب. وَأَدَّبَ بابِلَ الوَثنِيَّةَ عِقابًا عَلى اضطِّهادِها لِشَعبِ الرَّبِ (راجع أش ٤٦ - ٤٧).
في الآياتِ اللاَّحِقَة تَغيبُ عِبارَةُ "الحَقِّ" الَّتي تَمحوَرَت حَولَها الآياتُ السَّابِقة، وَكَأَنَّ النَّصَ يَبدَأُ قِسمًا جَديدًا.

٥ هكذا قالَ اللهُ الرَّبُّ خالِقُ السَّموات وناشِرُها باسِطُ الأرضِ مع ما يَنبُتُ منها الّذي يُعطي الشَّعبَ عليها نَسَمَةً والسَّائرينَ فيها روحًا:
٦ "أنا الرَّبَّ دَعَوْتُكَ في البِرّ وأَخَذتُ بِيَدِكَ وجَبَلتُكَ وجَعَلتُكَ عهدًا لِلشَّعبِ ونورًا لِلأُمَم
٧ لِكَي تَفتَحَ العُيونَ العَمْياء وتُخرِجَ الأَسيرَ مِنَ السِّجْن والجالِسينَ في الظُّلمَةِ مِن بَيتِ الحَبْس".
٨ أنا الرَّبُّ وهذا ٱسْمي ولا أُعْطي لِآخَرَ مَجْدي ولا لِلمَنْحوتاتِ حَمدي.
في هَذهِ الآيَاتِ يُنسَبُ عَملُ الخَلاصِ إلى الرَّب. فَهوَ الَّذي دَعَا مَسيحَهُ قورُش "هكَذا قالَ الرَّبُ لِمسيحِهِ: لِقورُشَ الَّذي أَخَذتُ بِيَمينِهِ" (أش ٤٥ / ١) وَعلى يَدِهِ تَحَقَّقَ الخَلاصُ لِإسرائيلَ وَلِلأُمَم: "قليلٌ أَن تَكونَ لي عَبْدًا، لِتُقيمَ أَسباطَ يَعقوبَ وَتَرُدَّ المحفوظينَ من إسرائيلَ. إنّي قد جَعَلتُكَ نورًا لِلأُمَم، لِيَبلُغَ خلاصي إلى أَقاصي الأَرض" (راجع أش ٤٩ / ٦). وَبِواسِطَةِ قُورُشَ خَلَّصَ الرَّبُ شَعبَهُ من سِجنِ الجَلاءِ وَالعُبودِيَّةِ، فَحوَّلَ الظُّلمَةَ إلى نورٍ: "أُسَيِّرُ العُميانَ في طَريقٍ لَم يَعْرِفُوهُ، وَأَجعَلُ الظُّلمَةَ نورًا أَمامَهُم" (أش ٤٢ / ١٦). وَالَّذينَ لَهم عُيونٌ وَلا يُبْصِرونَ، هُم شَعبُ إسرائيلَ، الأَعمى وَالأَصمَّ عَن أَحداثِ تاريخِهِ وَعن خَلاصِ الرَّبِ لهُ منذُ سِفرِ الخُروج. يَنتَهي القِسمُ الأَوَّلُ من النَّشيدِ بِالاعْتِرافِ بالرَّبِ صَانِعِ الخَلاصِ لِشَعبِهِ هو الرَّبُ وَحدَهُ. أَمَّا المَنْحوتاتُ فَهيَ لَيسَت بِشَيءٍ. يُذَكِّرُ سِفرُ أَشعيا بِاسْتِمرارٍ أَنَّ الرَّبَ هوَ المخَلِّصُ وَلَيسَ قُورُش:

"لَم يُكَوَّن إِلهٌ قبلي وَلا يَكونُ بَعْدي. أَنا أَنا الرَّبُّ وَلا مُخَلِّصَ غيري" (أش ٤٣ / ١٠ب - ١١).

خلاصة روحيّة

إِنَّ رِسَالَةَ الرَّبِ تَقومُ على انْفِتاحِ الرَّسولِ على إِلهاماتِ الرُّوح. كمَا يُعلِّمُنا بولُسُ الرَّسولِ في رِسالَتهِ إلى أَهلِ روما. أَمَّا نصُّ نَشيدِ أَشعيا، فَيُقدِّمُ لَنا مَثلاً يَشهَدُ لهُ التَّاريخُ القَديمُ، على أَنَّ روحَ الرَّبِ قادرٌ أَن يُحَوِّلَ قلبَ مَلكٍ وثَنيٍّ، فَيَعتَرِفُ بِإِلهِ إِسرائيلَ ربًّا، وَيَصفَحَ عن شَعبِ الرَّبِ وَيُحَرِّرُهم من نيرِ العُبوديَّةِ وَيَهَبُهم الخَلاص. فَبِقوَّةِ الرُّوحِ القُدس، قورُشَ الفارِسيّ يُصبِحُ رَسولَ الرَّبِ، وَبولُسَ المضطَّهِدَ للرَّبِ يَسوعَ يُصبِحُ إِناءً مُختارًا لِخلاصِ الأُمَم، وَأَغوسطينوسَ الجاحِدَ يَنقَلِبُ إِلى مُعتَرِفٍ وَقِدّيسٍ، ...

تَدعونا قراءَةُ العهدِ القَديمِ اليَومَ، لِلتَّأَمُّلِ بِقُدرَةِ الرّوحِ القُدسِ وَعمَلهِ في تاريخِ الخَلاصِ، وَفي تاريخِ كُلٍّ منَّا. فَالروحُ القُدس يُريدُ أَن يُحرِّرَنا وَأَن يَجعَلَنا رُسُلاً لِلرَّبِ. فَلْنَطلُبهُ وَنَستَسلِمَ لِعمَلِ خَلاصِهِ.